على أبواب شهر رمضان المبارك

◄شهر القرآن: قسّم الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد الأشهر إلى إثني عشر شهراً منذ بدء الخليقة في قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ) (التوبة/ 36). ثمّ جعل – من الأشهر الاثني عشر – أربعة منها هي الأشهر الحُرُم، حيث يحرم فيها القتال، وهي أشهر رجب وذي القعدة وذي الحجة ومحرّم الحرام، كما سُمّي بعضها بأشهر الحج، ولم يذكر اسم كل شهر بالخصوص إلا شهر رمضان، وهذا إن دل على شيء، فإنّه يدل على عظمة هذا الشهر المبارك. ومن ثمّ فإنّ تعريف شهر رمضان لم يكن كتعريف أشهر الحج كما في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) (البقرة/ 197)، حيث عرّف الأشهر بحكم إسلامي، وبفرع من فروع الدين وهو الحج، بمعنى أنّ هذه الأشهر لها علاقة وطيدة بمناسك الحج، وأنّ الاستطاعة التي هي شرط لوجوب الحج تتم في هذه الأشهر، بينما لم يعرّف شهر رمضان بالصيام، مع أنّه شهر الصيام، ويمتاز عن باقي الشهور بهذا الحكم، وبهذا الفرع الديني، بل عرّف شهر رمضان بالقرآن الكريم (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ) (البقرة/ 185). وفي القرآن الكريم – الذي هو هداية للبشرية جمعاء إلى شاطئ السعادة في الدنيا والآخرة – أحكام شرعية ومنها الصوم، فشهر القرآن الكريم يدل على شهر الصيام أيضاً، فهو من التعريف التام، ولو قيل شهر الصيام لكان من الرّسم الناقص لأنّه لا يدل على نزول القرآن فيه، وبين الحدّ التام والرسم الناقص بون شاسع كما في علم المنطق.

- ما ورد في تسميته: إنّ رمضان من أسماء ا، كما ورد ذلك في بعض الروايات عن أهل البيت (ع)، فلا يقال رمضان إلا مع ذكر المضاف، أي شهر رمضان، وقد ذكرت معانٍ أخرى لتسمية شهر رمضان، فقيل إنّه عَلَم للشهر كرجب وشعبان، ومنع من الصرف للعلمية وللألف النون، واختلف في اشتقاقه، فعن الخليل: إنّه من ارمْض - بتسكين الميم – وهو مطر يأتي في وقت الخريف، يطهر وجه الأرض من الغبار، سمّي الشهر بذلك لأنّه يطهّر الأبدان عن الأوضار والأوزار، وقيل: من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس. وقال الزمخشري في الكشّاف: "الرمضان مصدر رمض، إذا احترق من الرمضاء، سمّي بذلك اما لارتماضهم فيه من حرّ الجوع (كما سمّوه ناثقاً، لأنّه كان ينثقهم أي يزعجهم بشدته عليهم) أو لأنّ الذنوب ترمض فيه أي تحترق، وقيل: إنما سمّي بذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يرمضون أسلحتهم فيه، ليقضوا منها أوطارهم في شوال قبل دخول الأشهر الحُرُم. وقيل: إنهم لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسميت بذلك. وهناك وجوه أخرى. جاء في الكافي المجلد الرابع ص69 باب في النهي عن قول رمضان بلا شهر: عن الإمام الصادق (ع) عن أبيه الإمام الباقر (ع) قال: "قال أمير المؤمنين (ع): "لا تقولوا رمضان ولكن قولوا: شهر رمضان فإنّكم لا تدرون ما رمضان". وعن أبي جعفر الإمام الباقر (ع) قال: "كنّا عنده ثمانية رجال فذكرنا رمضان فقال: لا تقولوا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء ا عزّ وجلّ ولا يجيء ولا يذهب، وإنما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا شهر رمضان، فإنّ الشهر مضاف إلى الاسم، والاسم اسم ا عزّ ذكره، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، جعله مثلاً وعيداً". وإلى هذا المعنى يشير الرسول الأكرم (ص) في خطبته في الجمعة الأخيرة من شعبان: "قد أقبل عليكم شهر ا". وفي كتاب الاقبال من كتاب الجعفريات بسند السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين (ع): "لا تقولوا رمضان، فإنّكم لا تدرون ما رمضان، فمن قاله فليتصدّق، وليضمر كفارة لقوله، ولكن قولوا كما قال ا تعالى: شهر رمضان". - وجه الاشتراك مع الكعبة المشرقة: فشهر رمضان يعني شهر ا، وإنما سمّي شهر ا – وإن كان كل شيء – لما فيه من خصائص هي ، واختصت بالإضافة التشريفية كبيت ا بالنسبة إلى المكان، وشهر ا بالنسبة إلى الزمان. ومن أتمّ الخصائص وأبرزها، ما نجده من وجه اشتراك بين الكعبة المشرّفة وبين شهر رمضان، فالقدر المشترك بينهما هو نزول الوحي والقرآن الكريم، فشهر رمضان زمان نزول الوحي، والكعبة مكان النزول، ثمّ زادت الكعبة شرفاً، فتشرّفت بها مكة وأطرافها، وصارت حَرَم ا، وكل من أراد الدخول إلى هذا الحَرَم المبارك، في أي زمان، حتى ولو كان للقاء صديق داخل الحرم، فلابدّ له من أن يلبس ثوبي الاحرام، ويحرّم على نفسه محرمات الحج، ويأتي بالمناسك، ثمّ بعد فكّه الإحرام، حينئذٍ يقصد صديقه. فعظمة الوحي أثّرت في شرافة الحَرَم. وكذلك شهر رمضان، فقد نزل

القرآن بتمامه في ليلة القدر (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر/ 1)، ولكن سرت الشرافة والقداسة والعظمة إلى كل أيام وليالي الشهر، بل تشرّف ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن، فأقسم سبحانه بذلك العصر، في سورة العصر، كما أقسم بالمكان الذي نزل فيه الوحي، في قوله: (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) (البلد/ 2-1)، فالحَرَم تشرّف بالنبي الأكرم (ص)، والعصر تشرّف بالوحي. (إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...) (العصر/ 2-1)، فشاع الوحي قد نوّر منطقة وسيعة، في المكان والزمان. - فضائل شهر رمضان وبركاته: ثمّ إنّ شرف رمضان، إنما هو لإستقباله القرآن الكريم كما في الأخبار الشريفة، والفضائل الواردة لشهر رمضان، كما في خطبة النبي (ص)، إنما هي باعتبار الموصوف، فالرحمة والبركة والغفران للقرآن الكريم بالأصالة أوّلاً وبالذات، وللمتزمن أي شهر رمضان ثانياً وبالعرض. وفي الخبر: "شهر رمضان غرّة الشهور"، والعزّة بمعنى البياض في الجبين، أو الأوّل، فرمضان بياض ناصع في جبين الشهور، وهو رأس الشهور، و"قلب رمضان ليلة القدر"، كما ورد في الخبر الشريف. فشهر ا هو شهر رمضان المبارك بالقرآن الكريم، ولكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان، فتتفتح أزهار المعارف القرآنية، في مثل هذا الربيع، كما تتفتح الزهور والورود في ربيع الطبيعة. شهر رمضان شهر تجلية الأرواح والنفوس، فإنّ علماء الأخلاق يذكرون في تهذيب النفوس مراحل ثلاثة: 1- التخلية من الصفات الذميمة، 2- والتحلية بالصفات الحميدة، 3- وتجلية تلك الصفات وتبلورها، وإلى ا المنتهى قاب قوسين أو أدنى، وإنك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه. ويبدو لي: شهر رجب – كما في الأخبار – شهر الاستغفار من الذنوب والمعاصي، ففي شهر رجب أصحاب السير والسلوك، أصحاب اليمين، يطهّرون أنفسهم من الذنوب والغفلات بالاستغفار، ويناديهم الملائكة أين الرجبيّون؟ وفي شهر شعبان، شهر رسول ا (ص) يتحلّون بسنن رسوله وآدابه، كما ورد في أعمال شهر شعبان: "وهذا شهر نبيّك سيد رسلك، شعبان الذي حففته منك بالرحمة والرضوان، الذي كان رسول ا (ص) يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه، بخوعاً لك في اكرامِهِ واعظامِهِ إلى محل حمامه، أللّهمّ فأعنا على الاستنان بسنته فيه، ونيل الشفاعة لديه، اللّهمّ واجعله لي شفيعاً مشفّعاً وطريقاً إليك مهيعاً، واجعلني له متّبعاً، حتى ألقاك يوم القيامة عني راضياً وعن ذنوبي غاضيا، قد أوجبت لي منك الرحمة والرضوان، وأنزلتني دار القرار ومحل الأخيار". شهر شعبان شهر المناجاة، تلك المناجاة المعروفة التي جاءت فيها: "إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصارُ القلوب حُجُب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتعيد أرواحنا معلقةً بعزّ قدسِك، إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك، ولا حظته فصعق لجلالك، فناجيته سراً وعمل لك جهرا". فشعبان

شهر التحلّي بالصفات الحميدة، وشهر رمضان شهر التجلي لتلك الصفات، شهر الضيافة والورود على الله سبحانه.تلك الضيافة العامة لجميع المكلّفين، ومن راعى آدابها يوفّق لحضور الضيافة الخاصة في شهر ذي الحجة في مكة المكرمة مهبط الوحي، وفي الطواف حول الكعبة المشرّفة، وفي الوقوف بأرض عرفة، ومناسك أخرى مقرّبة إلى الله تعالى. وقد ورد في الخبر الشريف: "من لم يُغفر له في شهر رمضان، لم يغفر له إلى قابل، أو يشهد عرفة"، لتشمله الرحمة الخاصة، والضيافة الخاصة. - ما ذكره النبي الأكرم (ص) في شأنه: وقبل أن أنقل خطبة النبي (ص) أذكر هاتَين الروايتين: الأولى: (في الكافي، المجلد 4 ص70) عن أبي جعفر (ع) أنّه قال: "كان رسول الله (ص) – يُعلم من كلمة "كان استمرار هذا الفعل في كل سنة، ولكن الخطبة كانت في سنة واحدة – يُقبل بوجهه إلى الناس فيقول: يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان غُلّت مردة الشياطين – أي الشيطان الذي مرد عن أمر ربّه وخرج وفسق تُغلّ يده بالسلاسل والأقفال العديدة، إذ إن غلّت من التغليل وهو يفيد الكثرة، فغلّت مردة الشياطين – وفتحت أبواب السماء، وأبواب الجنان، وأبواب الرحمة، وغلّقت أبواب النار، واستُجيب الدعاء، وكان لله فيه عند كل فطر عتقاء، يعتقهم الله من النار، وينادي منادٍ كل ليلةٍ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللّهمّ أعط كل منفق خلفاً، وأعط كل ممسك تلفاً، حتى إذا طلع هلال شوال، نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم فهو يوم الجائزة. ثمّ قال أبو جعفر (ع): أما والذي نفسي بيده ما هي بجائزة الدنانير ولا الدراهم". أجل كل هذا ببركة القرآن الكريم، والإنسان الذي يعصي في شهر رمضان إنما هو الذي يفتح يد الشيطان على نفسه، وهو الذي يدفع باب جهنم لفتحه، وإلا فالشياطين قد غلّت أيديهم، وغلّقت أبواب جهنم، فتأمل! الثانية: عن ابن مروان، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: "إنّ لله عزّ وجلّ في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلقاء من النار، إلا من أفطر على مسكر – والظاهر أنّ هذا من باب التمثيل، وإلا فكل المعاصي كذلك – فإذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه". وأمّا الخطبة الشريفة: فاختلف فيها في مجامعنا الروائية، فقيل في آخر جمعة من شعبان، وقيل لثلاثة أيام بقيت من شعبان، وقيل آخر شعبان، فيمكن الجمع بين الأقوال بأنها في أواخر شعبان، والشيخ البهائي عليه الرحمة ينقل الخطبة في كتابه الأربعين، الحديث التاسع قائلاً: وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا ج1، ص297 بسند معتبر عن الرضا (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال: إن رسول الله (ص) خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم

بنيّات صادقة، وقلوب طاهرة، أو يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، تصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يُتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، يلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه. أيها الناس: إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذِكْره أقسم بعزته أن لا يعذب المصلّين والساجدين، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين. أيها الناس: من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه. قيل يا رسول الله: وليس كلنا يقدر على ذلك، فقال (ص): اتقوا النار ولو بشق ثمرة، اتقوا النار ولو بشربةٍ من ماء، فإنّ الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذا لم يقدر على أكثر منه، يا أيّها الناس من حسّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عن رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاةٍ كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور. أيّها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فسلوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم.► المصدر: (مجلة نور الإسلام/ العدد 46-45)